

أبوليوس

مسرحية عن حياة أديب أمازيغي

تأليف: أحمد حمدي
أعدده للنشر: تامغناست



أبوليوس

مسرحية عن حياة أديب أمازيغي

تأليف: أحمد حمدي
أعدده للنشر: تامغناست



ذلك هو السؤال المبطن بالاتهام، والمشحون بالتقييم المنحاز، والمفعم بهواجس الشك العاصف.... الذي نستطيع أن نسلطه على كل الأجناس الأدبية والإبداعية الأخرى، لكن الحقيقة التي تغيب عن السائل أو أريد تغييبها عن الملتقى، هي أن ميلاد أي فن جديد، لا يعني إطلاقاً القضاء على فن قديم، خاصة المسرح الشعري عميد الفنون جميعاً.. إن أي فن جديد هو تدعيم واع للإبداع الإنساني، وترسيخ أصيل لأهمية الفن والإبداع في الحياة وفي مخيلة البشرية.

إن جمهور المسرح ليس مؤكداً هو جمهور السينما نفسه، لذلك فإن التفكير في انقراض الفن المسرحي غير وارد، تماماً مثلما هو الحال بالنسبة للجريدة أو الصحيفة أمام زحف الراديو ثم التلفزيون.

إن المسرح يتوجه إلى جمهور من ذوي المستويات إزاء إنسان اختار مع سبق الإصرار أن يذهب أو يحب المسرح... إن الاختيار هو الذي يحدد المستوى... والاختيار هو النقطة الأساسية في تحديد مستوى التذوق وقابلية الاستيعاب.

وقد يقول قائل، إن لغة المسرح الشعري، يشوبها كثير من التكلفة والصنعة وإيقاع، الذي " يلهي وشغل " السامع عن الفهم والاستيعاب... والواقع أن أي عمل إبداعي قد يتعرض لهذا النوع من الاتهام المغرض أيضاً... إن فكرة الغموض هي حجر الزاوية في فكر المتعبين والمتزمتين إزاء الأعمال الأدبية.. لتساءل: أليس المسرح تمثيلاً؟

إن دلالات كلمة " تمثيل " تتضمن فيما تتضمن محتوى فنياً رافياً يعبر عن مستوى راق، وهذا لا يتم إلا من خلال التذوق الفني الذي يخلق لكل عمل فني

إلى المخرج والقارئ معاً

إن الغاية من هذا النص، قد تكون محلاً للتساؤل ومجالاً للاستفهامات، يستوجب علينا في البداية شرحها والإجابة عنها حتى لا تكون سبباً في أي إشكال أو غموض، إذ إن الأعمال الأدبية - مثلما يعرف الجميع - لا تسير كلها في الخط نفسه، والمسار ذاته، والمستوى عينه، لذلك فإن النص الإبداعي المستند والمستند من الوقائع التاريخية الماضية، والموغة في القدم، ليس مثل النص الإبداعي المستند إلى وقائع الزمن الحاضر، لكن هذا الاختلاف، لا يغير شيئاً على مستوى الخطاب الإيديولوجي للنص.

تلك أولى الإشكاليات التي يتحتم علينا إزاحتها، كي لا يكون حاجز الزمن الفاصل الصارم، والحد الفاصل في العمل الإبداعي، ولا يشكل أي اضطراب أو غموض في مسار المضمون، إن النص الإبداعي ليس نصاً تاريخياً، ولا هو مجرد سرد ساذج للوقائع التاريخية الجامدة، انه قراءة جديدة وواعية لواقع، لا يعبر أي اهتمام للتسلسل المنطقي الميكانيكي للأحداث السابقة في سياق النص الجديد.. هذا النص المفعم ببصمات وحركات الحاضر أكثر من كوابيس الزمن الماضي.

قد يتساءل المرء عن جدوى المسرح الشعري وأهميته، في نهاية القرن العشرين، حيث نشاهد انحساراً مخيفاً لمختلف الفنون أمام الزحف العاصف والحد الجارف لفنون السينما والتلفزيون؟

جمهوره الحب وأنصاره المتحمسين.

صحيح أن المسرح في بلادنا يعاني من عدة أزمات، لكن ذلك لا يعني إطلاقاً أنه - أي المسرح - في حالة احتضار أخير، بل إنه في حالة مراجعة.

للنص الذي ينعدم، في الوقت الحاضر، كتابه..

للمخرج الذي يعاني من موروثات خطيرة تبدأ من التأهيل وتنتهي عند الثقافة المحدودة..

للممثل الذي تتدحرج الكلمات على لسانه كجلمود صخر..

للجمهور المستجدي "بفتح الدال" بلهجة الشارع البائسة، في قاعات العرض بالمدن الكبرى والقليل نسبياً، والمحروم نهائياً من المسرح - وهو كثير - بالأرياف.

إن عقدة اللغة المسرحية التي يتنجح بها بعضهم، ودعواهم إلى ضرورة الكتابة بلغة الشارع، ولو في موضوع تاريخي، استجداء سخيف للجمهور، وعمل دماغوجي لا علاقة له بالفن والثقافة.. إن الجمهور الذي يحب المسرح يقدم عليه وفي نيته العمل من أجل الاستيعاب والفهم، وبمعنى أنه يبذل مجهوداً معيناً للوصول للمسرح، كما أنه من واجب المسرح أن يبذل جهوداً كبيرة من أجل السمو بالجمهور.

وهكذا فإن عملية إسقاط المسرح بهدف استجداء الجمهور تنبئ عن عجز الكاتب في الوصول إلى الجمهور عن طريق عملية الإبداع والفن الحقيقي.. وذلك باللجوء إلى وسائل أخرى غير الفن.

بقيت ملاحظة أخيرة، لا بد من ذكرها، في هذا السياق تتعلق بموسيقى النص المسرحي التي لا تبقى - هنا - أسيرة التفاعلات الجامدة إذ قد تم إحداث تغييرات طفيفة على بنية هذه التفاعلات حتى تتماشى مع الجو العام للحوار والحركة، بل ونشير إلى أننا احتفظنا بالنصوص النثرية لأبوليوس كما ترجمها الدكتور على فهمي خشيم في كتاب "الأزاهير"، سواء منها تلك التي جاءت على شكل مونولوج أو على شكل خطب تزرخ بالحكمة والمعاني باعتبار أنها ذات موسيقى خاصة وغنية عن أي موسيقى أخرى..

الجزائر 1987

شخصيات المسرحية

أبوليوس: ويمكن أن نطلق عليه أسم لوكيوس بناء على كتابه " التحولات ".
أو الحمار الذهبي. كاتب شهير ومحام بارع. من قبيلة غيتولة النوميديّة.
الأب: أحد الشخصيات الهامة في مداوريش وأكبر أثريائها ارتقى إلى مرتبة
" دمفير " في الجيش الروماني.
الأم: امرأة نوميديّة أصيلة.
ليانوس سترابو: القنصل الروماني بنوميديا.
بودنتيلا: الثرية اللبيرة.
كبير الشرطة.
فرقة الشرطة.
رئيس المحكمة. وهيئتها.
فرقة من الشباب النوميدي.

قبل أن يرفع الستار

" أبوليوس رجل كامل القوام حازم في صوته واضح في عبارته. يتكلم
باعتماد واضح. يرتدي قشابة عادية. يخرج قبل أن يرفع الستار".
أبوليوس: لقد جئتم إلى المسرح. وأنا أشعر بالثقة في هذا. بخير إرادة في
العالم. فأنكم تعلمون إن أهمية خطبة ما لا تعتمد على المكان الذي تلقي
فيه. بل إن ما ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أول الأمر هو: " أية صورة من صور
المتعة سوف يقدمها المسرح؟ " لو كان تمثيلاً تقليدياً لضحكتم. فان كان مشياً
على الحبل لارتعدتم خشية أن يسقط الماشي. ولو كان ممثلاً هزلياً لحببتموه
بالتصفيق. أما إن كان فيلسوفاً لتعلمتم شيئاً منه.
" يختفي أبوليوس خلف الستار "

الكاهن: " أعمى يستترشد بعكاز.. يدخل قائلاً: " من هذا؟ اسمع صوتاً مفترياً،

إن الإنسان ظل التّرب..

أبوليوس: " يقاطعه " ورب الحرب.

الكاهن: من هذا الكافر؟

أبوليوس: أنا هنا.. كما ترى! لست من الكفار ولا من التجار.

الكاهن: " مستغرباً " صوت غريب؟ يا جنود... يا شرطة.. يا حراس خذوه.. قد يزرع

في قلوب الناس وساوس الخناس.

أبوليوس: " متهمكاً " يا عميل الشرطة يا عجل الحكومة أو لم تعلم بأن

القول حق؟ وبأن الكلم الصادق بدء؟

فرقة الشرطة: " بصوت واحد.. وقد ظهرت فجأة من تحت الأرض " نحن هنا..

نحن هنا أقرب من عين إلى حاجبها.

الكاهن: " يأمر " خذوه.. وغلوه بالسوط علموه إن الكلام للسادة والأعيان

والسمع والطاعة للعبدان.

" تلتف فرقة الشرطة حول أبوليوس بشكل يثير الرعب، ويقيدونه

بالسلاسل "

أبوليوس: " محتجاً ومتهمكاً " يا كاهن الظلام الله خلق الإنسان وعلم اللسان

النطق والبيان والحق والحرام والعدل والطغيان.

" يجرونه دون أن يكمل كلامه... خارج الخلبة "

اللوحة الأولى

ساحة عامة في مدينة مداوروش الرومانية، خفها الأقواس والأعمدة التي
تشتهر بها الهندسة الرومانية، السكان يرتدون لباساً رومانياً، ولكن أحيانا
يمر أناس مسرعون يرتدون البرنوس أو القشابية.. من الضباب المسرحي يظهر
الكورس في لحن وعظي.

الكورس: يا سكان الأرض جميعاً هذا صوت من أعماق التاريخ يرن، ما زال يرن..

وينادي في أعماقكم الإنسان:

إن المال هو الفتان وإن الحكم إذا جار هو الطغيان وإن القمع هو الخسران وإن
الأرض إذا ابتليت بالظلم صارت أشجان.. وإن الفقر هو العدوان...

أبوليوس: " يظهر فجأة وكأنه مندفع من أعماق الأرض ويقول بصوت جهوري: "

صمتاً.. صمتاً صمتاً إن الظلم.. وأن الزور.. وأن البهتان صور أخرى في الإنسان.

الكورس: " باستنكار " صور أخرى في الإنسان؟

أبوليوس: " بإصرار " إيه.. إن الذئب لا يجرو أن يأكل ذئبا لكن الإنسان يفعل

ملا تفعله الذؤبان.

الكورس: " يظهر في حالة شتات والرعب يستولي عليهم " .. سلاماً على الأرض
يا أمتي سلاماً على العدل والرحمة.

الكاهن: " مقاطعاً.. وغاضباً " إذا ما سكتنا على هؤلاء يعم الخراب ويعلو
مدينتنا اضطراب، ويختلط الحر بالعبد حتى نزول الحضارة ويفتك بالدين نسل
الدعارة.

الكورس: " مسترسلاً " الله.. يا الله الظلم ما أقساه والعدل ما أبعده في هذه
الحياة!

" تنطفئ الأضواء.. ويسدل الستار "

اللوحة الثانية

" أضواء باهرة.. أبوليوس في مخفر الشرطة... حوله حراس مدججون
بالسيوف والعصي، وتبدو عليهم مظاهر القسوة "

الشرطي: من أنت؟.. إلى ماذا تدعو؟

أبوليوس: أنا ابن هذي الأرض وهذه السماء!

الشرطي: " يحدث صديقه " صيد هذا اليوم يا يوليوس سمين! " يتجه إلى
أبوليوس " إذن ستعود إلى الأرض بابن الذين ولن تتطلع بعدئذ للسماء.

" مهدهاً " أجب دون لف ولا دوران:

أولاً: من تكون؟

ثانياً: ما الذي كنت تفعل؟

ثالثاً: ما الذي قد سرقته؟

رابعاً: ما الذي قلت للكاهن الأعظم؟

خامساً: أنت متهم بالشغب!

سادساً: أنت تهزأ بالسلطة الحاكمة.

سابعاً: قد دخلت إلى الحي - يا بربري - بلا أي إذن.

أبوليوس: " محتجاً " أي إذن؟ وأي كلام؟ هذه الأرض أرضي " مشيراً للأرض ثم للسماء " وهذي السماء سمائي ولن أطلب الأذن كي أتنفس بعض الهواء. هذا قولتي.. أيا آلة الحرب لن أخشى شيئاً.

" في هذه الأثناء يدخل كبير الشرطة في لباسه الروماني التقليدي.. "

كبير الشرطة: " دون أن يسمع أي حوار " هذا أنت أبوليوس؟ ما دهاك؟ كل يوم تثير الشغب لن أكون رحيماً معك أنت قد نلت من سلطة الرب وأثرت الغضب وجاوزت حد الأدب.

" بعد صمت قصير يأمر الشرطة " خذوه للزنزانة المنفردة إن لسانه خطير.

" يجروه خارج الركح.. فيما كبير الشرطة يحاور نفسه " لا ينفع الكلام في ساحة اللثام وكل من حاور في أثينا عصاة العصاة المارقين.

" بعد صمت.. يضيف " إذن جاء ينشر دعوته والخراب

في ربوع البلاد.

الكورس: " يظهر وكأنه في حالة ذهول " سلاماً على الأرض يا أمتي سلاماً على الأمن والراحة، سلاماً على الأثقياء، سلاماً على الفقراء، سلاماً على العدل والرافة، سلاماً على الأرض يا أمتي.

اللوحة الثالثة

" بيت ضخم.. يختلط فيه الأثاث، البربري بالأثاث الروماني.. الأب منهمك في جمع المال "

الأب: الأرض تشح كثيراً في هذا العام والفلاحون كسالى.

الأم: " تقاطعه لتغير مجرى الحديث " يا رجل. أن أبوليوس ما عاد للبيت منذ نهارين.

الأب: " يواصل حديثه السابق " سوف اطرد خمسين فلاحاً وسابي على خمس عشرة وستين شاباً لا.. بل سأطردهم كلهم واشتري بالأجور العبيد. أي رأي تريد أم أبوليوس؟

: " بتذمر " غيابه ليس جديداً علينا " بنهكم " قد يكون بأحضان جارية أو مع شلة من رفاقه. في حانة للرومان " يتذكر " لقد صار حقاً ينجص في كل يوم حياتي بأحاديثه المزعجة، ومخالطة السفلة..

" صمت قصير.. ثم يستمر " إن قائد مادورا حدثني.. بانضمامه للعصبة المارقة وعصاة أثينا.

الأم: " تقاطعه مستنكرة " ماذا اسمع؟

الأب: " أن أبوليوس متهم بالخروج ومتهم بالسحر ومعاكسة الكهنة.

الأم: " تخفف من لوعة الأب " يا حبيبي.. لا تصدق إن للرومان - أن خالفهم شخص - حكاية واتهامات خطيرة ووشاية.

" يستأذن أحد العبيد بالدخول "

العبد: " بخشوع تام " يا سيدي العظيم أبوليوس في السجن وحوله الكلاب والحراس.

الأب: " باستغراب " تقول انه مقيد سجين.

العبد: نعم يا سيدي العظيم شباب مادورا تظاهروا أمام السجن من اجل إطلاق سراحه السريع.

الأم: " بهلع " ابني سجين أيها الدمفير مقيد حزين أي جنون.. أي سخط حل بالبلاد وعمم الفساد في عهد ليانوس.

الأب: " يقاطعها بهدوئه المعهود " لا تقلقي سوف أرى ماذا جرى " للعبد بصمت قصير " جَار قرطاجنة قادمون فحضر الزيتون والحبوب وأخبر السكان وليخرج الشباب بالغناء والدفوف.

الأم: " مقاطعة " أي شباب دوننا أبوليوس " مستأنفة " سأخرج صائحة بالشباب هلموا إلى سجن مادورا حيث زين الشباب تحت نصل الحراب.

الأب: " يتحكم " إن النساء شرنا الجميل يجعلن من حكاية صغيرة مسألة كبيرة. " للعبد " انصرف أيها العبد حيث أمرت.

العبد: " منصرفاً " نعم سيدي.

الأب: " للأم " كفانا صرخاً يا امرأة فأبوليوس في السجن لا يعني انه مضطهد وحزين يعني انه تحت الحراسة والحراسة أمن له وسلام.

الأم: " مستغربة " تحت الحراسة؟ أي يؤس وأي حساسة؟ أين روح الأبوة؟ وأين المروءة؟

الأب: " خارجا بعصبية " لا حديث مع الضعفاء!

الأم: " خاور نفسها " يا شبابا في دهاليز السجن يا رجالا هائمين يا نساء ناكلات يا بلادي يا جراحي الدامية.

أصبح الخوف إلهاً مستبدًا! يحبس الأنفاس يمتد رماحاً فوق هامات البشر ويداجي الفكر والدنيا الجميلة بعقد الألسن عن قول الحقيقة. " تتوقف قليلا ثم تواصل " .. يا زمان الموت والطغيان والرومان والشعب الحزين لم يعد فينا أصيل أن بقينا على هذه الحالة إلى عهد طويل.

الكورس: " مواصلاً " يا شباباً في الشوارع زائغ العينين ضائعاً ارفض الذل.. انتفض.. تلق هذا الكون رائعاً يا شباباً في الشوارع يا شباب.. يا شباب.. يا شباب.

إلى أن يعود السلام لهذه الديار!

الشرطي3: " يدخل.. ويستعد " سيدي.. إن دمفير مادورا يرجو المثول أمامكم..

كبير الشرطة: " بنرفزة واضحة " دعه يدخل.

" يمشي كبير الشرطة، ويجئ في حالة عصبية واضحة، بينما ينصرف

الشرطي3 ثم يدخل الأب في لباس ضابط روماني ".

الأب: " بهدوء تام " مساء سعيداً.

كبير الشرطة: " مقاطعاً بعصبية مفتعلة " أعرف أنك قد جئتني بخصوص

أبوليوس.

الأب: نعم سيدي.

كبير الشرطة: " يقاطعه بصرامة " أيها الضابط البربري.. إن حدا ليفصل

بين صداقتنا والعمل وليكن واضحاً، يقتضي الأمر والواجب القيصري بأن يردع

الجنـد أي مخالف، وقد كنت يا صاحبي قد أشـرت إلى ما يثيره ابنكم أبولـيوس

من زعزعة.

" بعد صمت قصير " إن دعوته واعتقاداته البالية وأفكاره، حول ازيـس ثم

اوزيريس، تنشر الآن بين الشباب وهذا يهدد أمن البلاد وما قد يبنـاه عبر السنين

بهذه الديار.

الأب: " يتقدم من كبير الشرطة " ويقدم له كيس دراهم، ثم يقول بمكر، سيدي

كل غال يهون في سبيل الحضارة والقيصر.

" صمت قصير ثم يكمل الحديث "، لو سمحتم بإطلاقه، سوف أرسله للدراسة

اللوحـة الرابعـة

" مخفر الشرطة.. شرطي مسلح.. كبير الشرطة جالس على أريكة

فخمة.. الوقت مساء.. الشرطي يتنـاءب.. يدخل الشرطي2".

الشرطي2: سيدي.. إن مسجوناً جديداً مات بالجوع، وإن الأمن في السجن وفي

الشارع جـتاحه حالات من الفوضى.

كبير الشرطة: " بامتـعـاض " نعم..؟! الأمن غير مستتب وأخجلناه من جنود

اليوم!

" بعد صمت قصير " فل لي: لماذا خـمل السلاح؟

الشرطي2: " في استعداد تام، ويقول كلاماً محفوظاً " دفاعاً عن الروم

والقيصر وقهر الأعادي وحفظ البلاد.

كبير الشرطة: " يقاطعه " إذن انصرف واحفظ الأمن واستعمل جميع

الوسائل.

" يخرج متأهباً والشر بتطاير منه ثم يتجه كبير الشرطة إلى الشرطي1 "

صباح غد جهز الحرس القيصري لتجوب البوادي، وتصادر كل الجوب، بناء على

الحالة الطارئة، ولتعلن في الناس أن الحكومة قد قررت ضرائب أخرى على البربر

في معاهد روما حتى يعود إلى رشده.

كبير الشرطة: "يتفحص الكيس مؤيداً" إنها فكرة رائعة. "إلى الشرطي الأول
" احضره حالا.

" يخرج الشرطي1.. متوجهاً إلى الباب "

يا صديقي من زمان لم نزرنا ولقد تقنا إلى تلك الليالي الساحرة.

الأب: "مهموماً" أشغالنا كثيرة ووقتنا قصير. لكنني أعطيك وعداً صادقاً
سنلتقي عند نهاية الأسبوع.. معي بعض الخمور البابلية والنبيد البربري.

كبير الشرطة: "ضاحكاً" أما أنا معي بعض الجواري الرائعات..

" ما كان ينهي كلامه حتى تسمع أصواتا متشابكة وضجيجاً عاصفاً، غير
معهود "

أصوات: " غير منظورة " قتلة.. سفاحون أطلق.. أطلق.. اضرب.

" صوت غليظ وفج " سنحرق المدينة. يا كلاب عودوا إلى جحوركم يا جهلة.

" تبقى الأصوات متشابكة.. يدخل الشرطي مذعوراً".

الشرطي: شباب الجبال وأهل الصحاري وشرذمة من لصوص المدينة خاصر
أسوار مادورا يا سيدي.

كبير الشرطة: "أمرا" أعلنوا حالة الطوارئ واضربوا كل من جردون في الطريق.
واقتلوا كل مارق.

الشرطي: " حائراً " سيدي إن قتلهم كثر لكنهم لا يبالون بالموت.

" الأصوات تزداد اقتراباً ووضوحاً.. بعضها يردد اسم أبوليوس "

أصوات: أبوليوس.. أبوليوس الضرائب والضرب.

أصوات الشرطة: والاضطراب يا كلاب.

" يدخل أبوليوس مقبداً ووراءه الشرطي الأول الأب ينظر صامتاً.. أبوليوس
يشعر بالانتصار لسماعه صوت المظاهرة "

كبير الشرطة: " بأمر " فكوا عنه القيود.

" موجهاً الحديث إلى أبوليوس " لا أريد - ابتداء من اليوم - أي فلاقل وأي
اضطراب. ولولا أبوك ورتبته السامية وصادقتنا الدائمة لاتخذنا مواقف أخرى
إزاءك والإضراب الرعاي " بجزم " فلتخرج الآن تخطب فيهم. وتنصحهم
بالرجوع إلى دورهم والعمل.

أبوليوس: " لا مبالي " ليس لي أي أمر عليهم.

" صمت ثم يستأنف " وأعرف أن تظاهروهم. جاء رداً على القمع والاضطهاد.
والضرائب والضرب.

" يدخل أثناء ذلك شرطي يسيطر عليه الخوف والفرع ويقاطع أبوليوس "

الشرطي: " لكبير الشرطة " تفاقم الوضع ومات بعض الجنود.

كبير الشرطة: " بأمر " استعملوا الحراب والقذائف ولتترو شوارع المدينة.

أبوليوس: " خائفاً على مصير السكان " سأخطب فيهم لعلمهم يرجعون غير
أنني أحذركم من مواجهة الوضع بالقمع والقتل إنما ذاك عين الخطأ إنه الزيت

يلهب ناراً ويلقي الدمار!

وان حقوقهم واضحة.

كبير الشرطة: "مغتبطاً" تفضل أبوليوس لتملأ الرؤوس حكمة وتهداً النفوس.

" يخرج أبوليوس. وخلفه الأب والشرطي. أما كبير الشرطة فيبقى يزرع القاعة جيئة، وذهاباً بشكل عصبي.."

" عندئذ تنطفئ الأنوار ويسدل الستار."

اللوحه الخامسة

" ساحة عامة في مدينة مداروروش.. مظاهرة ضخمة وجوه متحفزة. نساء،

أطفال.. شبان أشداء أغلبهم فلاحون.. وقد لفحتهم الشمس فازدادوا فتوة."

الخطيب: يا شباب.. إن للصبر حدوداً انزعوا عنكم قيوداً وارفضوا الطغيان.

والعهد البليد.

إن شعباً رافضاً.

شعب مجيد.

الجمهور: "منشداً"

فداء البلاد

دماء الشباب

وروح الضحايا

ومفرزة العاملين.

فلا عاش ظلم.

ولا دام قهر.

على أرض أجدادنا الخالدين.

" يصعد خطيب آخر فوق الأكتاف "

الخطيب: " بصوت جهوري وحماسي "

يا أيها الشعب المحاصر بالقيود والقوانين التعيسة، والأوامر.

وانتظام الأزمنة

ومصائب الزمن القبيح على ضرائب.

للقمع والإرهاب قاوم.

يا شعب قاوم.. يا شعب قاوم

أبنا روما.

ينهبون الأرض والخيرات والشرف الرفيع وأنت نائم

يا شعب قاوم

" تصفيق حار.. ينزل الخطيب ".

الجمهور: " منشداً "

فداء البلاد.

دماء الشباب وروح الضحايا

ومفرزة العاملين فلا عاش ظلم

ولا دام قهر

على أرض أجدادنا الخالدين.

" يصعد أبوليوس فوق الأكتاف.. يصفق له الجمهور كثيراً.. تهليلاً بإطلاق

سراحه. ترتفع الأصوات "

أبوليوس.. أبوليوس.. لا رومان لا محبوس لا لنظام المكوس.

أبوليوس.. عاش.. عاش.. أبوليوس.

" يرفع يديه خيبة للجمهور، ومهدئاً في الوقت نفسه، في حين تبدو مفارز

الشرطة المدججة بالأسلحة الفتاكة تطوق الساحة ".

أبوليوس: متأثراً.

من أين لي صوت الخطيب؟

وأنا المكبل بالقيود

يا أيها الوطن الأسير

وأيتها الشعب المجيد

إن اندفاعاً في الظلام

أمر خطير

مثل السفينة في صباح عاصف

إن أبحرت نحو المحيط

فأن عودتها انتظار، في انتظار.

" صمت قصير "

أبوليوس: "مستأنفاً"

أبناء نوميديا الشداد

فلتحفظوا أمن البلاد

الشر كشر عن نواجذه

وأنتم في عناد

الدم يجري في الشوارع

قد يغمر الطوفان أسوار المدينة

والمزارع

"صمت قصير"

ولقد سمعت كبيرهم

بالقمع بأمرهم

وقذف جموعكم

بالنجنيق وبالخراب

لا تتركوهم

واحتموا بالحكمة الغراء

إن الظلم زائل

"هرج ومرج.. بعضهم عبّر عن رفضه، يرتفع صوت من الجمهور الغاضب"

الصوت: لن نستكين

ولا نهادنهم

ولا نرضى انهزاماً

أبوليوس: "منفعلاً" يا صاحبي

لن أرضى في أرضي انهزاماً

ولا يتامى

غير أن الظلم فاما

فاحذر من الطغيان

واسلك للسلامة

طرق النجاة

فإن اوزيريس يأمر بالتأني

والشر كشر عن نواجذه احتداماً

ونحن عزل..

الجمهور: "منشداً"

فداء البلاد

دماء الشباب

وروح الضحايا

ومفرزة العاملين

فلا عاش ظلم ولا دام قهر

على ارض أجدادنا الخالدين.

أبوليوس: " يواصل خطابه "

من الرأي

يا سادتي النبلاء

أن نعود إلى الحكمة الخالدة

ونكون وفداً

يفاض عجل الحكومة

عن القمع.. ثم الغلاء

وارتفاع الضرائب.

الجمهور: " مقاطعاً "

انه الرأي السديد.

صوت: أبوليوس في الوفد.

صوت: بل رئيس.

الجمهور: رئيسها.. رئيساً.

أبوليوس: إذن سنكون وفداً يمثل كل الفئات.

" بعد صمت يدل على الموافقة الجماهيرية "

مثل الشباب.

صوت: " يقترب " حاض.

أبوليوس: مثل العمال.

صوت: " يقترب " حاض.

أبوليوس: مثل المزارعين.

صوت: " يقترب " حاض.

" صوت نسائي من وسط الجمهور يقترب "

صوت: أنا أمثل النساء بتكون الوفد..

أبوليوس: " يستشير الجمهور "

ما رأيكم في وفدكم

الجمهور: نعم الوفد... نعم الوفد

" أبوليوس يتشاور مع أعضاء الوفد "

" بينما تخفت الأضواء ببطء.. ويسدل الستار. "

أبوليوس: مساء سعيداً

" بعد صمت "

نحن وفد الأهالي نريد مفاخرة القنصل المحترم في قضايا البلاد.

القنصل: " بفارغ الصبر "

إذن تريدون أن تحكموا.. يا رعاة الصحاري ولصوص الجبال.

كبير الشرطة: " يقاطعه ليكمل المناورة "

سيدي القنصل الأعظم.. لنسمع مطالبهم أولاً...

القنصل: " بنرفزة مفتعلة ."

" موجهها الحديث إلى الوفد ". وليكن واضحاً إن كل أوامرنا السابقة، ستنفذ ولا

ينبغي أن تقولوا، حديثاً عن المكس. أو عن سداد الضرائب.

إن موضوعكم واحد، وهو شغل الجميع، عودة الأمن، والطاعة الكاملة.

أبوليوس: " بتحد واضح "

إذن...

لا حديث لنا معكم.

مثلة النساء: " متأكدة ."

تفاهم الأمر..

وعم الخراب

اللوحة السادسة

" دار القنصل ليانوس.. ذات طراز روماني فخم.. تتناثر فيها خف ومائيل

للآلهة الرومانية قلق يسود الجو.. كبير الشرطة مرتبك.. "

القنصل: إذن ليكن واضحاً إن كل الأوامر تنفذ حتى تعود السكينة.

" يصفق.. وبمجرد التصفيق يدخل أحد الحراس "

ليانوس: ألم يقلقوا بعد.

الحارس: " مستعداً " نعم سيدي.

ليانوس: أي نسل من الأغبياء هؤلاء

" بعد صمت قصير "

دعهم يدخلون، ولكن بعد دقائق خمس عليك بتلفيق أي حكاية للتخلص

منهم.

" يخرج الحارس.. ليعود بعد لحظات يقدم الوفد ثم يقف في حراسة مشددة..

بعد أن أمر الحارس الثاني بتلفيق الكذبة "

" باحترام مفتعل "

السخط يملأ البلاد.

وأنتم في واد.

والجوع والأمراض والفساد.

يفتك بالعباد.

عودوا إلى الرشاد..

عودوا إلى الرشاد..

القنصل: " بعصبية "

لا أريد النصائح.

ولا الوعظ.

من أي شخص.

فأنا احفظ الأمن

والسلم.

بين الجميع.

" بعد صمت قصير "

وليكن وعظكم ونصائحكم.

للعراع الذين يريدون

حرق المدينة

ونهب المتاجر.

الكورس: " يظهر في لحن جنائزي "

سلاماً على الأرض يا أمتي

سلاماً على العدل والرحمة

إذا ما زمان الطواغيت جاء

فلا ينصر الحق

إلا الخراب وسيل الدماء

فيا أيها الخالمون

ويا أيها الطيبون

أنظروا

واحذروا

واحملوا

عدة للزمان الرديء

وانفضوا عنكم الذل

والانتظار البطيء

" يختفي الكورس تحت ضباب كثيف.. "

أبوليوس: " يوجه حديثه لأعضاء الوفد.. وكأنه يتأمل ". "

من كانت نفسه عارية من الفضيلة.

كان أولئك المساكين الأشقياء.

الذين يفلحون أرضاً من حقول حجرية جرداء.

ليس بها غير أكوام الحجارة والأشواك

وإذ هم لا ينالون غلة من بريتهم

ولا يلقون ثمرة في تربة يملأها الشوفان.

والزوان.

وإذ هم يعون فقرهم كل الوعي

فهم يسرقون ثمار الآخرين.

وينهبون جنائهم

لعلهم بهذا يخلطون زهور جيرانهم

بما لديهم من أشواك.

" يدخل الحارس وهو يفتعل الاضطراب.. وكأن الأمر مهم "

الحارس: سيدي إن مرسولا من القيصر يستأذن.

القنصل: " يقاطعه بتمثيل مبالغ فيه "

لا.. فلينتظر.

الحارس: " بإلحاح " سيدي حيث أن الحرب بين الفرس والرومان قد زادت لهيباً

وقضايا قرطاجنة بلغت مولانا قيصر.

القنصل: " أبوليوس ورفاقه " للأسف لم يتح لي الحديث، معكم.. إن أبوابنا

مشرعة، للذين يريدون امن البلاد.

" ينصرف أبوليوس ورفاقه دون أن يقولوا كلمة واحدة "

القنصل: " لكبير الشرطة " من يكون رئيسهم؟

كبير الشرطة: انه أبوليوس ابن دمفير مادورة.

القنصل: قد علمت الكثير من مشاكله ولا بد من نفيه.

" بعد صمت قصير "

إنه بذرة الشر.

كبير الشرطة: صحيح.. صحيح. لقد كان في السجن. لكنني أثرت إطلاقه، كي

يرد الرعاع إلى الرشد. قبل أن ينفي حسب اتفاقي مع والده.

القنصل: " بتهكم " من أين له الرشد؟

كبير الشرطة: سيدي، إن تأثيره في الأهالي كبير. ولسانه مصقع.

القنصل: ربما سحرك!

كبير الشرطة: سيدي.. قد أمرت..

القنصل: " لا يتركه يكمل "

لا بد من نفيه اليوم. خارج نوميديا كلها. أما أصحابه الهمجيون، فليحبسوا

دون أي انتظار.

" موسيقى حزينة تصاحب انطفاء الأضواء وإسدال الستار ". "

" طرقت عني على الباب " يركض العبد ليفتح الباب.. يدخل أبوليوس محاطاً بالشرطة.

أحد الشرطة: خذ لباسك، دون سلاحك.

الأم: " محتجة " أطلقوا أبوليوس، أيها السفلة.

الشرطي: " مهدداً "

أغلقي فاك يا امرأة، أو سنغلقه عنوة.

أبوليوس: " لأمه " دعيهم يا أماه

فالظلم من شيمتهم

والقهر من شرعتهم

والحق لا يقرب من بينتهم

والعدل لا تعرفه دولتهم

الشرطي: " لأبوليوس " يا طويل اللسان

استكن.

" أبوليوس باستخفاف يحمل بعض ملابسه وحاجياته.. يودع أمه التي تقف

ذاهلة أمام هذا المشهد المريع "

أبوليوس: أماه سأعود

مكللاً بالغار والورود

فالظلم لا يدوم

اللوحه السابعة

" بيت أبوليوس.. الأم تحث نفسها في حالة عصبية.. تمشي وتجيء .. "

الأم: لاشك أن أبوليوس، سيفحم الرومان، بالحق والبرهان.

" بعد صمت قصير.. تصفق.. أيها العبد "

" يدخل العبد مسرعاً "

العبد: سيدتي.

الأم: ما آخر الأخبار عن أبوليوس؟

العبد: " مجيباً " لم يعد بعد سيدتي.

الأم: أخشى أن يحدث الشر

" بعد صمت "

إن أبوليوس عنيد، لا يبالي بالحديد، يتحدى الحاكم الظالم، والطغيان، والشر.

وأقزام الوجود.

العبد: سيدي أبوليوس، أقوى من حماقات الرومان والشباب الحر، يحتل المدينة.

والنفي مرحلة

في هذه الحياة

لا تقلقي كثيراً

إن نوميديا

ستنبئ الزهور

" يجرونه خارج الركح.. بينما تتبعه الأم إلى باب الدار.. جًهش باكية "

الأم: يا عيني ابكي

اذرفي الدمع الغزير

زين الشباب

يساق كالسراق

للمنفي المرين

يا أبها الوطن الأسير

ضاع الشباب

وصارت الأغلال

تحكم، والمصير

في عتمة سوداء

" صمت قصير "

" يدخل الأب مهموماً، لكنه يتصنع اللامبالاة تتوجه إليه الأم بصوت متهدج.

مفعم بالحنن "

: لقد طردوا أبوليوس

بل نفوه كأبي حفير

الأب: " لا مبالي " أعرف ذلك

" ثم يستطرد قائلاً "

اتفقت مع قائد الشرطة المادورية

أن يغيب أبوليوس

عن ارض نوميديا

" بعد صمت قصير "

غير أن أبوليوس أخطأ

ولم يتصرف بحكمة

بل خدى وهدد أمن البلاد!

: " مستفهماً " هل تعرفين بأنه كون وفداً من المارقين وخاطب قنصلنا بكلام

سخيف؟

الأم: " باحتجاج " أنا اعرف ابني كثيراً لن يقول كلاماً سخيفاً

الأب: " مقاطعاً " إذن..

الأم: " مقاطعة أيضاً "

لن يقول كلاماً سخيفاً

وجور الرومان قد تجاوز كل رهان.

الكورس: " يظهر من خلال ضباب كثيف في الزاوية اليسرى من الركح.. بينما

يختفي الأب والأم في عتمة شديدة " ..

سلاماً على الأرض يا أمتي

سلاماً على العدل والرحمة

" صوت منفرد من الكورس "

إذا ما سكنتنا على هؤلاء

صوت آخر: يعم الخراب.

صوت ثالث: ويعلو مدينتنا الاضطراب

المجموعة: فبا امة المجد يا أمتي

طريق الخلاص

ودرب النجاة

يرصعه الدم والسيوف

في مهرجان الدماء

فلن تهزمني

إذا ما سلكت

إلى المجد درب الدم

" يسدل الستار "

اللوحه الثامنة

" قافلة سعاة البريد تتأهب لرحلة طويلة أمام الباب الشرقي لمدينة

مداوروش ذات الأسوار الحصينة.. الجو ربيعي. لكنه ينذر بعاصفة كبيرة.. الحراس

فوق الأسوار. السعاة منهمكون في التحضير "

قائد القافلة: " مستفسراً " يبدو أن الوقت حان.

ساع1: بل تأخرنا قليلاً سيدي.

قائد القافلة: ربما.. ولأن الجو صاف سوف نستدرك ما فات من الوقت خلال

الرحلة الأولى.

ساع شاب: " يسافر لأول مرة " كم رحلة يا سيدي نقطعها لأويا.

قائد القافلة: أربعة عشر لكننا أجاها الأول قرطاجنة.

الساعي الجديد: كم رحلة يا سيدي لقرطاجنة؟

قائد القافلة: سبع رحلات.

" بعد صمت قصير "

ستعرف الطريق يا بني وتعرف الأهوال والأمطار والعواصف.

مهنتنا يا صاحبي طرائف خَفَها الخاوف.

الساعي الجديد: " مستفسراً مرة أخرى "

وما الرحلة.. سيدي؟

قائد القافلة: مسيرة جَنَازها كرمشة العين.

ولكن انحيازها

لن يلوي ذراع الزمن الراكد بالقوة والحكمة والإرادة.

الساعي الجديد: " سائلاً "

القوة والحكمة والإرادة يا سيدي

عناصر السعادة؟

قائد القافلة: أجل...

فالمجد من قوتنا

والرأي من حكمتنا

والخلد من إرادتنا

الساعي الجديد: " مستذكراً " يا سيدي حكمة شامو نادي

رائعة المبادئ إذ تقول:

" الصبر والاستحمام واللعب والضحك هي الحياة "

قائد القافلة: " مستنكراً "

حياة الكسالى

حياة الذين يعيشون

كالحيوان الكبير

الذي يأكل الحيوان الصغير!

" يتوقف فجأة عندما يدخل جندي مسلح والتعب باد على محياه "

الجندي: " لفائد القافلة "

سوف تتجهون مباشرة لأوبا لا لقرطاجنة

إن بعض الصعاليك والمنفيين سيكونون تحت حراستكم، فلتكن حذرا.

إن بعضهم قد يحاول أن يتربص بالقافلة فلتكن حازماً.. صارماً.. في أمور كهذه

وأعط العذاب بلا رحمة لأي مخالف..

" بعد أن يلقي هذه الأوامر يقدم لقائد القافلة رسالة خاصة "

هذه الرسالة تسلم فور وصولكم لقنصل أوبا.

" تتقدم مجموعة المنفيين، وعلى رأسهم أبوليوس، مغلولين والإرهاق واضحا

على الوجوه "

الجندي: يعطي أوامره للمنفيين..

إن أي محاولة للهروب سوف يتحملها غير صاحبها.

أبوليوس: " متحدباً بلا مبالاة "

أما هربنا فيعني الرجوع إلى مادورا.

الجندي: " حازماً "

كفى هذراً أبها البربري اللعين.

" تنطفئ الأضواء تدريجياً، ليظهر أبوليوس منفرداً، ومن بعيد تظهر مدينة
مداوروش، المحاطة بأسوار ضخمة، في حين تستعد القافلة للرحيل " ..

أبوليوس: " مناجياً.. وهو يتعد "

سلام على الدنيا.. سلام على الربا

سلام على الأزهار والماء والنهر

لكم كنت مشتاقاً إليكم بقريكم

فكيف يكون الصبر بعد الذي يجري

ولم أك يوماً أرقب الساعة التي

أفارق أرضاً من دمائي ومن شعري

أنا الآن لا أدري أنا من أنا؟

أصفاصة الأحرار أو لوعة الهجر؟

حزين.. وقد كانت جراحي كثيرة

ولكن جرح النفي أقوى من الجمر..

" صمت قصير "

بلادي التي صغت منها طفولتي

وأحلامي السكري وفاخة العمر

هواك هواي قد ترعرع في دمي

وشب لهيباً في فؤادي وفي صدري

فأن نهزم الأحرار شوقي وخالقي

وأنت بلادي درة المجد والدهر

" تنطفئ الأضواء ويسدل الستار "

مسؤول المكتبة: " متهمكاً " ماذا تعرف عنهما.. يا نوميدي؟!

أبوليوس: " بتحد واضح "

قد بدأنا الكلام البذيء.

بودنتيلا: " حازمة "

أيها النوميدي إن سكان أويا يحبون كل المعارف وهذا المكان مقدس فلا يرفع

الصوت فيه احتراماً لما فيه من حكمة وهيبة أصحابها الخالدين.

" صمت قصير "

إن لا تخالف أجب عن سؤال الرجل.

" يتأمل برهة ثم يسترسل مفتخراً بطلاقة عجيبة " ..

سيدتي الجميلة..

هناك قول معروف لرجل حكيم عن أطايب المائدة يقول:

القدح الأول يطفئ الظمأ

والقدح الثاني يدخل الجبور

والقدح الثالث يشعل الغربة

والقدح الرابع يبعث على الجنون

أما في حالة النهل من ينبوع عراس الفن فأن العكس صحيح.

إذ كلما زاد عدد الأقداح التي تشربها، وكان الشراب صرفاً، كان أفضل لخير

نفسك.

اللوحه التاسعة

مكتبة أويا " طرابلس " قاعة كبيرة بعض القراء منهمكون في المطالعة.

أبوليوس هو الآخر منهمك في القراءة والكتابة، تدخل بودنتيلا الجميلة إلى

المكتبة، فيقف الجميع إجلالاً واحتراماً ماعداً أبوليوس الذي ينتبه إلى ما يجري

حوله.

مسؤول المكتبة: " يوجه الكلام إلى أبوليوس. باستنكار تام "

أيهذا الغبي فلتقم

أو تخرج من هذه المكتبة

" يوجه الكلام إلى بودنتيلا "

لا مؤاخذه إن هذا الغريب منذ يومين ما انفك يقرأ دون انقطاع.

بودنتيلا: " لا مبالية " دعه يقرأ.

أبوليوس: " واقفاً ومأخوذاً بجمال بودنتيلا "

معذرة سيدتي..

قد كنت في حضرة سقراط وأفلاطون.

" بعد صمت قصير "

القدح الأول يعطيك إياه أستاذك الذي يعلمك القراءة والكتابة ويخلصك من الجهل والقدح الثاني يقدمه إليك معلم الأدب ويمدك بالمعرفة.

والقدح الثالث يسلحك بفصاحة الخطباء ومن هذه الأقذاح الثلاثة يشرب معظم الناس. أما أنا فقد سقيت أقذاحاً أخرى في أثينا:

شراب الشعر الخيالي..

وجرة الهندسة الصافية

وشراب الموسيقى الخلو

وشراب الجدل الصارم

ثم رحيق الفلسفة كلها ما

لم يرتو منه إنسان من قبل.

لقد كتب " امبيذوقليس " الشعر، وأنشأ " أفلاطون " المحاورات وانشد " سقراط " الترتيل وألف " ابيمارخوس " الموسيقى وصنف " اكسينوقراطيس " مقالات الهجاء.

" يشير إلى نفسه بافتخار "

أما صاحبكم " أبوليوس " فانه يرعى فروع هذه الفنون جميعاً. ويعبد "العرائس " التسع كلها بنفس الغيرة واعترف بأن حماسه لتفوق مقدرته بكثير. لكن لعل هذا ما يجعله جديراً بالحمد، إذ يكون الجهد المبذول في كل المطامح

الرفيعة الشأن هو الكفيل بالثناء.

أما النجاح فأمره على كل حال يعود إلى الصدفة وحدها.. ولكي أوضح هذا القول أذكر أن القانون يعاقب حتى مجرد تعمد الجريمة رغم أن غاية المجرم قد لا يكتب لها التحقيق فقد تكون اليد طاهرة لكن هناك دماً على الروح وهذا يكفي. ومثلما يكفي لإنزال حكم القانون وجود نية الفعل لإنزال العقاب يكفي لنيل الحمد محاولة فعل ما يستحق ذبوع الصيت.

مسؤول المكتبة: " بتهكم " قد تكون انتهيت من حديث التبجح يا هذا..

إن الغرور نقيض المعارف والحكمة الخالدة.

بودنتيلا: " تتدخل باحترام شديد "

اسمك أبوليوس النوميدي.

أبوليوس: " باحترام تام "

أجل سيدتي.. ومنذ يومين فقط وصلت ها هنا.

بودنتيلا: " ببراءة " بينما يكون مسؤول المكتبة يكاد ينفجر من الغيظ، إذن جئت إلى أوبا.. لكنها ليست كما يرام.

أبوليوس: " مقاطعاً " لا.. أنا الآن منفي من مادورة ومكتبة أوبا لا تقارن بمكتبة إسكندرية، ولكنها عامرة، وأرى الناس تهتم بالكتب الخالدة.

" في هذه الأثناء يدخل رجال الشرطة ويتجهون مباشرة إلى مسؤول المكتبة ولكنهم يفاجأون بوجود بودنتيلا. حيث ينحنون إجلالاً. وتقديراً لها.. "

الشرطي: احتراماتي سيدتي بودنتيلا.

بودنتيلا: "مستنكرة" كيف تفتحون هيكال الخالدين بأحذية العسكر النتنه؟
إن مكتبة أوبا مقدسة.

"بعد صمت قصير، يقف خلاله الشرطي مذهولاً تتحدث بودنتيلا بعصبية واضحة"

ومن واجب الكل أن يتعطر قبل دخول المكان.. إن أرواح سقراط، طاليس، فرجيل،
فيثاغوراس.. لترتفع في كل زاوية "مشيرة إلى المكتبة" ها هنا..

الشرطي: "معتذراً" اعتذاراتي سيدتي

ما أنا إلا عبد الأوامر..

"يتوجه بكلامه إلى مسؤول المكتبة" إن شخصاً يسمى أبوليوس في المكتبة
أين هو؟

مسؤول المكتبة: "تلقائياً" هو ذا!

الشرطي: "يتوجه إلى أبوليوس" تفضل معي.

بودنتيلا: "تدخل بحزم"

انصرف أيها الشرطي أبوليوس ضيفي.

الشرطي: إنه..

بودنتيلا: "تقاطععه بصرامة"

قل لمولاك إنه في قصري إن شاء يأتي ليعرفه.

الشرطي: "في هذه الأثناء يكون أبوليوس متعجباً لما يجري حوله.. بينما يكون
مسؤول المكتبة يحاول أن يكتنم غيظه.."

ولكنه مارق وخطير وقد تم نفيه من مادورة.

بودنتيلا: "بحزم" اعرف ذلك..

انصرف.

إنني لا أحب الكلام الرديء.

الشرطي: "يأمر رفاقه بالانصراف" أمر سيدتي.

بودنتيلا: "لأبوليوس" تفضل أبوليوس إن مكتبتني عامرة.

أبوليوس: "حائراً" سيدتي لا تعرفين من أنا.

بودنتيلا: "تقاطععه بثقة تامة وضاحكة" فراسيتي لا تخطيء وأنت الآن
ضيفي!

"بعد صمت قصير تستطرد"

إن أبني بونتيانوس حدثني عنك بإعجاب وأنت في أوبا ولا تسأل عنه.

أبوليوس: "منبهراً" سيدتي "مشيراً" أم بونتيانوس صديقي.

بودنتيلا: نعم.

أبوليوس: "يتذكر" عشنا معاً في روما وأثينا.

"بعد صمت"

إنه من خيرة الصحاب "لبودنتيلا"

سألت كل من لاقيت عن صديقي بوتنيانوس لكنهم جأهلو معرفته. أنا
سعيد بلقائك يا سيدتي أريد أن أراه..

بودنتيلا: تعال معي..

" يتبعها بينما يبقى مسؤول المكتبة جامداً في مكانه.. ثم يأخذ الكتاب الذي
تركه أبوليوس ليعيده إلى مكانه "
" في هذه الأثناء تنطفئ الأضواء ".

اللوحة العاشرة

" بعد سنة.. بهو واسع في قصر بودنتيلا.. بعض الكتب تظهر في
رفوف المكتبة.. أبوليوس منهمك في كتابة الفصل الأخير من رواية - الحمار
الذهبي - "
أبوليوس: " في حوار داخلي "
أيها الحرف
أبتها الكلمات التي لا جئ
ابعثي قدراً، قمرأ.
ووصايا نبي.
وتعالني إلي
نرسم الزمن المستحيل
وأشجاره الوارفة
ونغني لمرحلة واعدة
الكورس: " يظهر وكأنه صاعد من أعماق كتاب ".

زمن.. زمن.. زمن

وبقايا من الزمن

تتمطى واهنة

في ليل شجن

ولصوص التاريخ الهارب

يحتفلون بموت الوطن

وشعوب مفعمة بالحب..

وغارقة في ماء أسن

يا من يتحدى

يرفع أزهاراً

في وجه الفتن

وبعيد الأرض

إلى عربات الزمن

" يختفي الكورس، بينما ينهض أبوليوس المبهور، يذرع البهو ذهاباً وإياباً "

أبوليوس: " أبها الصوت الغريب

يا صدى الحزن

ويا عصف القيود

لم يعد للحرف معنى ووجود

إن بدا عبداً ذليلاً

همه أن يرضي الحكام

والعهد الرذيل

" في هذه الأثناء تدخل بوندتيلا بجمالها الباهر..

بوندتيلا: " مازحة " يبدو أن الضرس لم تخرج من الفم وأن الشعر لم يخرج من

القلب

وأن النثر لم يصبح شعيراً " للحمار الذهبي "

" ضاحكة بدلال "

هكذا أبوليوس أو فيه كلام؟

أبوليوس: " يعود إلى الواقع "

بوندتيلا أيتها الوردة العابقه

بوندتيلا: " تقاطعه "

قد بدأنا كلام الغزل.

أبوليوس: " بدون تفكير " ربما..

إنما القلب

يعشق كل جميل

بودنتيلا: "مازحة"

يا سلام..

"تغير مجرى الحديث"

أنا لم أقرأ كلاماً مثل هذا في "الخمار الذهبي"

أبوليوس: "يقاطعها بشكل تلقائي" في الفصول الآتية

سترين الحب

نبراس الحياة

بودنتيلا: "متسائلة" أين الفصول الباقية؟

أبوليوس: يأخذ الأوراق التي كان منهمكاً في كتابتها ليقدمها لبودنتيلا "

هي.. ذي نهاية حزينة لقصة ضاحكة مثيرة.

بودنتيلا: أنا لا أحب المآسي في العمل الأدبي.

أبوليوس: "يقاطعها" ولا في الحياة.

بودنتيلا: "جادة" هناك مؤامرة يا أبوليوس حاول توريطك الآن في أي تهمة.

أبوليوس: دعيهم.

بودنتيلا: "تواصل حديثها السابق".

وغايتهم أن تغادر أوبيا لأن تلاميذك الآن صاروا كثراً

ويعترضون على الحكم والحاكمين

وأنظمة القهر.

أبوليوس: "لا مبالي"

وهذا جميل..

إذا ما طردت فإن تلاميذي.

بودنتيلا: "تقاطعها بنرفزة" وأنا..

"تستدرك الموقف" إنني الآن قررت أن تتزوج أو ستنفى من أوبيا بلا رجعة.

أبوليوس: "يفاجأ بالقرار" مؤامرة رائعة تنتهي بزواجي السعيد..

"بعد صمت قصير"

ولكن يا أم بونتيانوس..

بودنتيلا: "تقاطعها" إنها فكرة بونتيانوس.

أبوليوس: "جاداً" حدثني عن ذلك.

بودنتيلا: قد زاد حقدهم عليك لأنني أحببتك.. وكلهم كان يريدني لنفسه "

مستدركة " بل يريد المال والثروة..

أبوليوس: "يقاطعها" وهذه مفسدة للحب..

بودنتيلا: "تقاطعها" صدقت..

إذن لنعلن الزواج..

أبوليوس: "موافقاً" موافق لكننا دراسة الأوضاع واجبة..

بودنتيلا: "مقاطعة بتساؤل" أي دراسة؟

أبوليوس: ينبغي التصدي للمؤامرات اللاحقة.

بودنتيلا: "صحيح" ولكن أوضاعنا الراهنة تتطلب حلاً سريعاً.

أبوليوس: "متفائلاً" ماذا الحل هو الزواج؟

بودنتيلا: "شارحة" نعم.. إن قانون أوبا يحمي أي غريب إذا ما تزوج إحدى بنات البلاد.

أبوليوس: إذن لنعلن الزواج..

"تنطفئ الأضواء.. ويسدل الستار."

اللوحه الحادية عشرة

"محكمة أوبا تقع في المسرح الروماني نفسه.. الصفوف الأولى للأعيان"
قضاة ومحامون في لباس رسمي - أبوليوس في قفص الاتهام، بودنتيلا تجلس
هي وابنها بونتيانوس وحيدين..

رئيس المحكمة يتحدث مع مستشاريه وأعوانه ثم يتحدث إلى القاعة.

أيها السادة نحن اليوم قدام قضية شائكة ما جرى مثل لها في محكمة عبر
تاريخ الأمم..

أيها النائب اشرح للقضاة كل ما يمكن أن يثري تفاصيل القضية.

النائب: "يتصنع الوقار" ويحاول أن تكون كلماته مختارة، ولكنها تسقط
كالخجارة على الأذان.

سيداتي.. سادتي

إن أوبا بلدة ساحرة.

طاهرة ظلت بعيدة

عن عصاة العصر.

والفكر المغامر..

غير إن الوطن الأم

أخيراً...

أضحى يلقي بالنفايات إلينا والعصاة والمارقين.

أيها السادة..

كنتم قد حكمتكم في الأسابيع التي مرت على بعض القضايا الطارئة في

مجال الأمن والفوضى التي جتاح أعماق المدينة.

" بعد صمت قصير "

أيها السادة..

بعد السطو والنهب وهتك الحرمات

يبدأ اليوم اقتناص السيدات والقضية..

إن أبوليوس ساحر..

أخذ السحر عن الإغريق والأقباط والبربر..

وقد جاء إلى أوبيا كمنفي.

ولكن، إنه استولى على قلب بودنتيلا بسحره حيث أضحت عبدة رهن قراره.

" بودنتيلا ترفع يدها محتجة ولكن رئيس المحكمة لا يسمح لها بالكلام "

أيها السادة...

بودنتيلا لم ترض بأعيان البلاد

كيف ترضى اليوم بالساحر أبوليوس؟

" بعد أن يسترجع أنفاسه "

إنه السحر الخطير

الذي حدثنا عنه وعن تأثيره

في " الحمار الذهبي "

" بعد توقف "

يا حماة العدل

إنني أتمنى بتر هذا الداء

بأقصى العقوبات

" بودنتيلا تطلب الكلمة ولكن رئيس المحكمة يتجاهلها مرة أخرى "

رئيس المحكمة: " يوجه الحديث لبودنتيلا "

أنت ضحية تعيش تحت ضغط السحر!

" يوجه الكلام لأبوليوس "

عليك أن تعين المحامي الذي تراه صالحاً

أبوليوس: " مفتخراً "

كنت ببلدي مادورا محامي الفقراء

يجدري يا سيدي

بأن أكون اليوم

محامي الحب

ومحمي حق الاختيار.

رئيس المحكمة: "بهذوته المعهود" إذن

أنت متهم بالسحر

ومتهم باستيلاء عنيف

على قلب بودنتيلا

ومتهم باصطياد العواطف

لبعض الشباب

أبوليوس: "ياخذ هيئة المحامي"

سادتي.

يا قضاة كرام

لم أكن أتوقع أن تعقد المحكمة

بأويا الأبية

لتجرم حب عفيف

ومعاقبة العاشقين

"همهمة وسط القاعة بينما يواصل أبوليوس كلامه"

إنما كنت أحسب هذا اللقاء لعقد القرن!

"ضحك وسط القاعة، وأصوات متفرقة غير مفهومة". ولكنها تنم عن تأييد

تام لأبوليوس.

رئيس المحكمة: "يدق على الطاولة"

الصمت.. الصمت.. الصمت

أبوليوس اختصر الكلمة

أبوليوس: "يواصل حديثه"

نعم سيدي

إن حرية الاختيار مبدأ من مبادئ الحياة الكريمة ومن يتخلى عنه جدير به الموت أو

أن يكون كأني حمار جاهز للحمولة في أي وقت!

رئيس المحكمة: "يتدخل"

لن نسمح يا هذا في محكمة أويا بالكلمات الهمجية.

أبوليوس: سيدي كل الكلمات خمل ماء عذباً أو بولا نتناً لا أكثر من هذا

أما الخير

وأما الشر

رئيس المحكمة: "يتدخل بعد الهمهمة التي عمت القاعة"

سوف أضطر لتوقيفك عن أي كلام.

أبوليوس: " يغير طريقة كلامه "

إن حسادي كثار، والوصوليون يبعون بودنتيلا الثرية لا بودنتيلا الجميلة.

" شباب متحمسون لأبوليوس يصفقون بشكل هستيري "

رئيس المحكمة: إننا في محكمة لا في مسرح وسأضطر إلى إفراغ القاعة من جمهورها حالما أسمع لفظاً أو ضجيجاً.

فتفضل يا أبوليوس.

أبوليوس: " يواصل حديثه السابق "

إنهم يا سيدي

يخلطون الحب بالمال

وبعض الجاه والسلطة

بالحرية الحمراء

والعشق العظيم

" بعد توقف "

سيدي

إننا اخترنا الزواج الأبدي

حسبما تقضي قوانين البلاد

" يشير إلى بوتنيانوس "

بوتنيانوس صديقي شاهد عما أقول

بوتنيانوس: " يقف تلقائياً وكأنه كان ينتظر الإشارة "

كل ما قال أبوليوس صحيح

رئيس المحكمة: " يضرب على الطاولة "

أنا لم أطلبك كي ندلي برأيك

" للحراس " أخرجوه

" يسحب الحراس خارج الركح "

واصل أبوليوس

" أبوليوس يتحدث بشيء من الافتخار والاعتداد بالنفس ".

لو اتفق لي أن أحداً من يحسدونني أو يكرهونني يجلس الآن في هذا الجمع الكريم " مشيراً إلى القاعة " ويرجع ذلك إلى أنه في كل مدينة كبيرة قوم يفضلون مذمة من يفوقهم على مجاراتهم. ويتكلفون كراهيتهم عجزاً منهم عن أن يبلغوا شأوهم.. يفعلون هذا بالطبع لإنارة العنمة المحيطة بأسمائهم بذلك السناء المشع من اسمي - أقول لو أن أحداً من هؤلاء الكاشحين يلوث هذا المجلس الممتاز بلطخة وجوه، فاني لأسأله أن يلقي ببصره لحظة على هذا الجمع الحاشد، وحين ينتهي من أمل هذا الزحام الذي لم يجتمع أبداً من قبل لينصت لمحاكمة فيلسوف متهم بالسحر، فليتدبر في نفسه مقدار الخطر على سمعته من الاستخفاف في الظهور... فما أثقله من واجب، وما أعسرته من عمل أن أرضي حتى ذلك التطلع المعتدل لبعض الحاضرين!

وإنه ليصعب فوق كل شيء، بسبب الشهرة التي نلت وتوقعكم اللطيف لبراعتي في الدفاع أن ألقى بأي حديث عابر لم أتدبره كل التدبير.

فأني امرئ بينكم، " يشير للقضاة والجمهور " يغفر لي لحناً يصفح عن نطق مقطوع واحد نطقاً غير فصيح؟

من منكم يتجاوز عن تلغثمي بجمال مضطربة خاطئة مثل تلك التي تصدرها شفا الخبولين؟

إنكم ستغفرون لغيري بالطبع مثل هذه السقطات وأنتم على صواب في ما تفعلون بيد أنكم تخضعون لأدق الفحوص كل كلمة انطلق بها تزنونها بعناية، وتختبرونها بصقل الخرطة وسناء المسرح المساوي.. هكذا هو الرفق المناسب للحالة الوسط، وهذا هو التشدد الذي يقاس به التميز إنني أدرك إذن صعوبة الواجب أمامي، ولا أسالكم تبديل رأيكم الذي تضمرون فيّ، ولذا فإنني لن أذعكم بالصور اللطيفة الرائعة، غداً إن ثمة بعض المتسولين الجوالين ينتحلون جلباب الأستاذ ليكسبوا لقمة عيشهم.

ليس الحاكم العام وحده هو الذي يعتلي منصة المحكمة، بل إن منادي المدينة يفعل كذلك، ويظهر مرتدياً العباءة مثل سيده، غير أن المنادي يقف على قدمين مصفوفتين طيلة ساعات، أو يوسع الخطأ جئية وذهاباً، أو يزعم بالخبر بكل ما أودع في رثيته من قوة.

أما الحاكم العام فهو على النقيض من ذلك يتكلم بهدوء، متوقف بين الفينة والفينة يتحدث جالساً ويقرأ غالباً من وثيقة مكتوبة، وهذا أمر طبيعي، إذ إن صوت المنادي الثرثار صوت خادم مستأجر، أما الكلمات التي يقرأها الحاكم

العام من وثيقة مكتوبة فهي حكم إذا قرئ مرة فقد لا يضاف إليه حرف واحد أو ينقص منه حرف، بل يدون بمجرد إلقائه في سجلات الأقاليم، أما أنا بكل تواضع، فكل ما أنطق به يؤخذ مباشرة ليدون ويقرأ وما أنا بقادر على أن أسحب أو أغير منه شيئاً.. فعلي إذن أن أكون على أشد الحذر في كل ما أقوله أمامكم، ذلك أيضاً ينطبق على أكثر من شكل واحد من أشكال الكتابة، فلو منحتهموني أفضل انتباهكم لأبنت لكم ما أعنيه بتفصيل ودقة.

النائب: " محتجاً "

كل ما قد سمعناه في هذه المحكمة لا يفيد القضية.

إنها السفسطة.

رئيس المحكمة: " بهدوء " لا تفاعطه

دعه يقل كل ما تبقى فأنا لست بالساذج

" لأبوليوس "

واصل كلامك أبوليوس إن الخطابة والسفسطة لا تفيد القضية.

أبوليوس: " يواصل حديثه السابق " إن صوت المنادي الثرثار، صوت خادم مستأجر، أما الكلمات التي يقرأها الحاكم العام من وثيقة مكتوبة فهي حكم إذا قرئ مرة واحدة ودون في سجلان الإقليم.. " بعد صمت قصير "، إن موقعي الآن بينكم ليقدّم مثلاً متواضعاً، فكل ما أنطق به يؤخذ مباشرة ليدون، وما أنا بقادر على أن أسحب شيئاً، فعلي إذن أن أكون على أشد الحذر في كل ما أقول أمامكم... ذلك أيضاً ينطبق على أكثر من شكل من أشكال الإنشاء والكتابة

إذ إن تنوعاً في تفكيره أكثر مما هو في جميع آثار الفيلسوف " هيباس " المحكمة فلو منحنمونني انتباهكم، وسمحتم لي لأبنت لكم بتفصيل ودقة أكبر.

النائب: " محتجاً "

إن كل الكلام الذي قد سمعنا مضيعة للزمان الثمين وأنا - سيدي - القاضي أطلب أن نلتزم بقضيتنا الشائكة دون أن نتشعب في مجريات الحديث.

" مهمة في القاعة تعرب عن الرغبة في سماع حكاية هيباس "

رئيس المحكمة: أرجو الهدوء ولتواصل حديثك أبوليوس.

أبوليوس: " يستأنف الحديث "

كان هيباس أحد السوفسطائيين بزرفاهه جميعاً في تنوع آثاره، وهو خطيب لم يكن يفوقه أحد، وكان معاصراً للفيلسوف سقراط، أما عن أسرته فلا يعرف شيء، غير أن صيته كان ذائعاً، وكان حظه وسطاً، وكان ذا سرعة بديهة متنازة وذاكرة خارقة للعادة وكان له منافسون كثيرون.

جاء هيباس ذات مرة لمدينة بيزا أثناء الألعاب الأولمبية، وقد ارتدى ثياباً تدهش العين، رائعة الصنعة إذ هو لم يبتع شيئاً مما كان يرتديه بل كان جميعه من صنع يديه الثياب التي اكتسب بها، والحذاء الذي ينتعله والجواهر التي لفت الأنظار.. على بدنه مباشرة لبس قميصاً داخلياً من قماش رقيق مصبوغاً باللون الأرجواني الداكن، نسجه لنفسه في بيته، وتمنطق بحزام منقوش على الطراز البابلي بألوان كثيرة، وما من أحد ساعده في ذلك أما رداؤه الخارجي فقد كان عباءة بيضاء، انحدرت على كتفيه.. من صنع يديه، وكذلك الخاتم الذهبي

بطابعه المحفور ببراعة.. هو نفسه الذي حلقة الذهب وأقفل مكان الفص على الجوهرة ونقش الحجر الكريم.. إنني لم أنبئكم بعد بجميع منجزاته، لم يحسب من العيب إظهارها.. فقد أعلن أمام الحشد أن يديه صاغتا دوائر الخبز التي كان يحملها، كانت دواة على شكل كرة مسطحة.. وكانت حواشيها مدورة ناعمة الملمس..

" يتوقف قليلاً وكأنه يتذكر " من هو الذي يمسك عن مدح رجل له كل هذه المعرفة المتنوعة؟، إنني شخصياً أمجد هيباس، لكنني أفضل تقليد عبقريته الخصة في مجال العلم عن تقليده في مجال الأمتعة؟!

" بعد صمت "

إنني بإطلاق أفضل عن تلك الآلات التي صنعها جميعاً قلباً واحداً بسيطاً يمكنني أن أكتب به القصائد بما يوافق فيثارة المنشد أو جلال مسرح الملهاة أو المأساة..، إنني أكتب مقالات ساخرة وقصصاً وأحاديث ومحاورات أشاد بها الفلاسفة.

" بعد صمت قصير.. يغير لهجته "

إنني يا أيها القاضي

ويا حاكم أوبا

لم أقل غير الذي أعرف

أما السحر والشعوذة الفجة وأنواع الجريمة.

لم تكن يوماً مناراً لاهتمامي

إنها فعلة شذاذ

وقطاع الطرق.

رئيس المحكمة: "حازماً" قد سمحنا لك أن تقول الذي يدفع الاتهام غير أنك لم تعطنا غير بعض من المواعظ وبعض الكلام.

"في هذه الأثناء تطلب بودنتيلا الكلمة، لكن طلبها يرفض بإشارة من رئيس المحكمة ثم يطلب بونتيانوس الكلمة كذلك لكنه يحرم منها أيضاً".

أبوليوس: "دون أن يستأذن في طلب الكلمة وبتهكم واضح"

كنت أحسب أنكم جئتم المحكمة قصد عقد قراني!

"تنفجر القاعة بالضحك.. الأمر الذي يجعل رئيس المحكمة يبدو في حالة بائسة، ثم يصرخ بعد أن يتشاور مع مستشاريه "

إن هذا التصرف تعد خطير على هيبة المحكمة ولهذا تقرر ما يلي:

- ينفي أبوليوس من أوبا.

- يحرق ما خطه من كتب.

- يجرد عما كسب.

- تنفذ هذي الأوامر فوراً.

وقد رفعت جلسة اليوم.

"وينهض رئيس المحكمة يتبعه بقية القضاة والمستشارين، في حين تصدر همهمة وسط القاعة تنم عن احتجاج ينبئ عن مظاهرة".

"تلتف الشرطة حول أبوليوس ليفودوه خارج المدينة، بودنتيلا مذهولة يقف إلى جانبها بونتيانوس حيث يتجمهر عدد من الشبان الثائرين.. تخرج مظاهرة صاخبة "

" في حين يسدل الستار "

الحارس: " ضاحكاً "

وأى طريق سوى؟

في ظلام المتاهة؟

ليس من واجبي أن أدلك

إنما واجبي

أن أقوم بطردك من أرضي أويا

أبوليوس: " يحدث نفسه "

الإسكندرية شرق أويا وقرطاجنة غربها.

الحارس: ليس المهم شرق أويا

ولا المهم غربها

إن الطريق المستقيم

هو المهم.

أبوليوس: حقاً.. صحيح.

الحارس: إذن لك الاختيار.

" يرجع الحارس وصاحبه إلى أويا بينما يبقى أبوليوس وحيداً تائهاً في هذا المكان

المهول."

أبوليوس: " يتساءل بمرارة وسخرية عبر مونولوج مرير."

اللوحة الثانية عشرة

عند مدخل الصحراء. حيث ينعدم الاتجاه وتختلط الطرق حارسان يقودان

أبوليوس خارج مدينة أويا.

الحارس1: " يأمر " قف

هنا مفترق الطرق ومدخل المتاهة العظيمة " لأبوليوس " عليك أن تختار.

أبوليوس: " يقاطعه " إن معركة الاختيار شائكة.. إنها قاتلة.

إنها السبب الجوهرى في خمل هذى المنافى.

" بعد صمت "

فاختيار الجماهير كان كفيلاً بطردى من مادورة واختيار الحبيب..

كفيلاً بهذا العذاب الجديد.

الحارس: " لا مبالى "

لك الاختيار إذن هذى المتاهة واسعة، والدروب كثيرة.

أبوليوس: دلنى على طريق سوى.

لك الاختيار؟

" بعد صمت "

ومن أين لي الاختيار؟

وأنا الآن..

قدام هذا الفراغ المريب

والسراب العجيب.

" بعد صمت "

ليس لي الاختيار

غير ذا الطريق

الذي لا يلين

" يتجه غرباً نحو قرطاجنة "

الكورس: " يظهر على حافتي الطريق كأنه أشجار. يتوقف أبوليوس "

لا تركز للظلم

ولا ترجع عن مبدأ

واضرب في الأرض

فان الأرض أمينة

ولا نخدع.

" بعد صمت قصير "

لا بد للغائب أن يعود

والظلم والطغيان أن ينكسرا

لا بد للمغلوب

أن ينتصرا

إذا أزاح المنكرا

وقرر التحرر

" يختفي الكورس أو يتحول إلى قافلة عابرة للصحراء في اتجاه قرطاجنة تبدو

علامات البشر والفرح على ملامح أبوليوس "

قائد القافلة: " بعد التحية بالإشارة "

أراك تائهاً وحيداً

أبوليوس: بل إنني منفي من أوبا.

قائد القافلة: " يتساءل "

ولم نفي من أوبا؟

أبوليوس: لأنني أؤمن بالحرية والحب والسلام.

قائد القافلة: هذا شعار طالما رفعه الطغاة والحكام.

" يستدرك "

كما رفعه العبيد والأحرار.

أبوليوس: "مبتسماً"

أما أنا يا صاحبي

أكون من جماعة الأحرار..

اسمي أبوليوس

طردت من مادورة الغرب

لأنني ضد نظام الغرب

والضرائب.

والرومان.

كما طردت من أويا

لأنني أحببت بودنتيلا

وهي أسيرة البلاد والعباد..

ليس لها أن تنتقي

إلا أكابر الأعيان

قائد القافلة: "مقاطعاً"

اتهمت بالسحر إذن

وكانت المحاكمة.

أبوليوس: إذن أنت تعرف ماذا جرى لي؟

قائد القافلة: نعم وبعد خروجك من قاعة المحكمة عم أويا اضطراب كبير وما زال

يشند

والظالمون يلونون بالبحر

أيضا علاه اضطراب خطير.

وأعرف أن بودنتيلا قد فتشت

عنك كل الطرق

ولكنهم سلكوا بك

درباً خفياً

"بعد صمت"

وأعرف أن بودنتيلا

قد سافرت نحو قرطاجنة.

أبوليوس: إذن دلني عن طريق قصير لقرطاجنة.

قائد القافلة: "متأكداً" إننا الآن

نسلك أقصر درب إلى قرطاجنة.

أبوليوس: لنسرع إلى قرطاجنة..

"يغم الظلام قاعة المسرح ثم يسدل الستار"

أو بأويا.

قرطاجني2: ولكن قرطاجنة الحرة

الآن تزهو به

وبأفكاره ومبادئه الخالدة.

إنه النوميدي الأصيل.

قرطاجني3: بل إنه - في الواقع - صديق إميليانوس - قنصلنا الجديد - في روما وأثينا.

قرطاجني2: " يقاطعه بنرفزة واضحة بينما يبقى القرطاجني الأول يسمع الحوار دون أن يتدخل فيه ".

بل إنه النوميدي الشريف

" في هذه الأثناء يدخل الساحة إميليانوس سترابو قنصل قرطاجنة وإلى جانبه أبوليوس ثم زوجة سترابو وبودنتيلا، حيث يفسح لهم المجال. ويتوقف الجميع عن الكلام "

الخطيب: " عندما تهدأ الحركة يتبوأ الخطيب منصة الخطابة ".

مرحباً.. مرحباً

بأبوليوس

بالنبلاء..

فيا آل قرطاجنة

اللوحة الثالثة عشرة

" الساحة العامة لقرطاجنة.. حشود جماهيرية كثيرة في انتظار إزاحة الستار عن تمثال أبوليوس المغطى. "

قرطاجني1: لم كل هذا الهرج؟

قرطاجني2: ليس هذا هرج

فأبوليوس أكبر من كل هذا

ومفاخرة ملأت كل إذن وأرض

" بعد صمت قصير "

هل تعرف أنه اختار قرطاجنة من بين المدن

" بعد صمت قصير "

هذا افتخار رائع لقرطاجنة مدينة الأحرار، والحرية.

قرطاجني3: " يتدخل فضولياً "

ولكنه النوميدي المطارد

سواء بمادورة

أيها الشرفاء

هلموا.. هلموا

لنسمع بعض الحكم

ونصنع مجد الزمن

" بعد توقف "

ليس لي أي موهبة في الحديث

وفن الجدل

هو ذا أبوليوس

الحكيم النوميدي

سيعد عليكم تجاربه الرائعة

وخطاباته الممتعة

" تضح الساحة بالتصفيق، يتقدم أبوليوس "

أبوليوس: " بحديث هادي "

قبل أن أبدأ يا أهل قرطاجنة، ويا مثلي أفريقيا الساميين، في شكركم على

التمثال الذي شرفتموني بإقامته وأنا معكم، أود أولاً أن أبين لكم بأنني، نذرت

نفسي لخدمتكم ما حبيت، إن كل لحظة من حياتي، وما من عمل أقوم به إلا

وأخبرتكم به وحكمتم انتم عليه.. " بعد صمت "

حسن... إنني سأحدثكم في هذه المناسبة العظيمة عن قصة " فيلمون " التي

لا تبعد في الشبه عن قصتي، وسوف تفيد في أن توضح لكم كيف تأتي بغتة، تلك المخاطر التي تهدد حياة الإنسان.. إنكم جميعاً على دراية بمواهبه " مهمة داخل الجماهير فيما يواصل أبوليوس كلامه " أصغوا إذن إلى بعض كلمات عن وفاته.

" بعد صمت قصير "

كان " فيلمون " شاعراً وكاتباً من مرحلة الملهة الوسيطة، وقد ألف مسرحيات نافس بها " ميناندز " وزاحمه.. كلا بل في مناسبات عديدة هزمه فعلاً..

أبوليوس: " يواصل حديثه السابق " مهما يكن الأمر، فإنكم ستجدون أعماله مليئة بالفكاهة، مشحونة بحكمتها المتقنة، واضحة خاتمة المسرحية، وشخصياتها في مكانها المناسب.. أما المكالمات فواقعية نابعة من صميم الحياة..

" بعد صمت قصير "

فهو إن قدم قصة حب فليس ذلك إلا تسليماً منه بالضعف البشري وذلك لا يمنع على كل حال، أن يوجد في مسرحياته الديوث غير المصلح، والعاشق الولهان، والعبد الماكر، والزوجة الغيور، والأم اللينة، والجندي المقاتل.

" بعد صمت قصير "

لقد حدث ذات يوم، بعد هذه الشهرة أن كان يتلو جزءاً من مسرحية انتهى لنوه من كتابتها، كان قد بلغ الفصل الثالث، وبدأ يثير في مستمعيه تلك الانفعالات الخلوة في فن الملهة حين هطل فجأة وابل من المطر اضطره أن

يعتذر للجمع الذي احتشد لسماعه.

وتذكرون أن حادثة متشابهاً مرت بي حين كنت أحدثكم منذ مدة قصيرة..

وعلى كل حال فقد وعد " فيلمون " أن يكمل قراءته في اليوم التالي. بناء على

طلب الحاضرين وفي الغد حضر جمهور غفير لسماعه.

" بعد صمت قصير "

مضى جزء من النهار وفيلمون لم يأت في الموعد المضروب. وقد ألقى بعض

الحاضرين اللوم على الشاعر. بيد أن أكثرهم التمس له العذر. فلما طال

جلوسهم، أرسل بعض الحاضرين، لإحضاره فالحقه مداً في فراشه - ميتاً كان

قد أطلق آخر أنفاسه وتدد. أنامله لا تزال مطبقة على كتابه وفمه ملتنصفاً

بالصفحة التي كان يقرأها.. نسي كتابه ولم يعد يبالي كثيراً. بسامعيه.

وقف من دخل الغرفة منهم دون حراك برهة. وقد صعقتهم فجائية الصدمة

وجمال ميتته الرائعة.

ثم قفلوا راجعين لينبئوا القوم أن الشاعر " فيلمون " الذي كانوا ينتظرون منه

أن يكمل المسرحية الخيالية أنهى المسرحية الحقيقية وقال لهذه الدنيا " وداعاً

" أما لأصدقائه فقد قال: نوحوا وانتحبوا.. لقد كان وابل الأمس فالأدموعنا..

انتهت الملهة بمشعل الجنازة وكان لها أن تختتم بمشعل الزواج.. كلا فما دام

هذا الشاعر العظيم قد ألقى بقناع حياته جانباً فلننهض رأساً من المسرح

لدفنه.

لنكن عظامه هي التي نضمها إلى أفئدتنا بجانب أشعاره الحزينة.

إنن...

أيها القرطاجيون.. هيا

لنمض معاً

ونزوح الستار

عن النصب

والذكريات التي لا تموت

" تنطفئ الأضواء وينزل ستار النهاية ".